معركة الحزام الاستراتيجي مأرب وتعز ولحج في معادلة واحدة

وسط هذا التنوع في جبهات الصراع، تجدر الإشارة إلى أن خطة اليمنيين الحربية لا تقتصر على تطهير المدن والقرى فحسب من دنس الاحتلال السعودي، بل إن السيطرة على مصادر الطاقة والمرتفعات وطرق المواصلات والممرات الاستراتيجية قد تربط مصير الجبهات المختلفة ببعضها.

وبناءً على ذلك، برزت مأرب في الشمال، وتعز في الوسط الغربي، ولحج في الجنوب، على الرغم من بُعدها الجغرافي، في التطورات الأخيرة كمعادلة مترابطة؛ معادلة تمتد لتشمل موارد النفط والغاز في مأرب من جهة، والساحل الغربي، والمخا، وباب المندب من جهة أخرى.

مأرب: الصراع على الطاقة والجغرافيا:

يكتسب الصراع في مأرب أهمية بالغة، إذ تُعد هذه المحافظة آخر معاقل للتحالف السعودي في الشمال، وأحد أهم مراكز الطاقة في البلاد. وتجعل حقول النفط والغاز والبنية التحتية للطاقة في مأرب منها مصدراً هاماً للدخل لأي طرف يسيطر عليها.

ومن هذا المنطلق، لا يقتصر الصراع على مأرب على مجرد مواجهة عسكرية على محافظة. فالسيطرة على المنطقة قد تُفضي إلى ثلاثة نتائج متزامنة: إضعاف أحد أهم معاقل المعارضة، والوصول إلى موارد الطاقة، وتوفير نفوذ سياسي في المفاوضات المستقبلية.

بحسب صدام الحريبي، المحلل السياسي اليمني، فإنّ الوصول إلى موارد النفط والغاز في مأرب كان هدفًا للقوات المسلحة اليمنية لأكثر من عقد. وأكد أنه في حال سيطرت القوات المسلحة اليمنية على المنطقة، فبإمكانها استخدام السيطرة على موارد الطاقة كورقة ضغط لتحقيق شروط أفضل في أي جهود وساطة مستقبلية.

لذا، يجب تقييم أهمية مأرب بما يتجاوز مجرد تحقيق نصر ميداني. فالسيطرة على المنطقة قد توجه ضربة قوية لبنية السلطة في الحكومة اليمنية؛ وهي مسألة وصفها آدم بارون، عضو برنامج الأمن المستقبلي في مركز الأبحاث "نيو أمريكا"، في مقابلة مع قناة الجزيرة بأنها "نقطة حاسمة" من منظور الديناميات

الداخلية لليمن. وفي الوقت نفسه، يؤكد أن معركة مأرب ستكون صعبة، لأن القوات الحكومية ستعتبرها معركة وجودية.

ولا تقتصر أهمية مأرب، بطبيعة الحال، على الطاقة فحسب، فموقعها الجغرافي يجعلها على طريق المواصلات بين شمال اليمن والمحافظات الجنوبية، بما فيها شبوة والمهرة. ونتيجةً لذلك، قد يؤثر التحكم في مأرب على إمكانية تحريك القوات والوصول إلى المناطق الجنوبية.

لذا، فإلى جانب الآثار العسكرية والاقتصادية، سيكون للنصر في مأرب دورٌ دعائيٌّ هام. إذ يُمكن لنصرٍ كبيرٍ على هذه الجبهة أن يُغيّر موازين القوى في المشهد الداخلي اليمني، لصالح القوات المسلحة اليمنية في السيطرة على معظم أراضي البلاد، كما أن قوات صنعاء قادرةٌ على تحقيق انتصاراتٍ أكبر.

تعز: مركزٌ يربط الشمال والجنوب والساحل:

من جهةٍ أخرى، أصبحت تعز إحدى أهم ساحات القتال؛ محافظةٌ تكمن أهميتها في موقعها الجغرافي وشبكة طرقها أكثر من أي شيءٍ آخر.

تقع تعز بين مناطق سيطرة القوات المسلحة اليمنية في الشمال والغرب، ومناطق سيطرة خصومهم في الجنوب، وتربط الطرق المارة بها أجزاءً مختلفةً من اليمن. في الواقع، تُعدّ تعز مركزًا لشبكة طرقٍ تربطها بالمخا والساحل الغربي وعدن ومناطق أخرى يسيطر عليها التحالف السعودي ومرتزقته. لذا، فإن السيطرة على تعز قد تؤثر بشكل مباشر على خطوط الإمداد، وتحركات القوات، وحتى النقل التجاري.

ومن العوامل الأخرى التي جعلت من تعز ساحة معركة حساسة طبيعتها الجبلية. إذ تتيح مرتفعات هذه المحافظة فرصة مراقبة الطرق والقرى والوديان المحيطة والسيطرة عليها، ولهذا السبب، فإن الاستيلاء على أي مرتفع أو ممر صغير قد يؤثر على التوازن العسكري على نطاق أوسع.

وقد تجلى هذا الأمر بوضوح خلال الاشتباكات الأخيرة. بدأت الاشتباكات على جبهة العقريد جنوب شرق تعز، ثم امتدت إلى مناطق مثل بني بكري، وحمير، والقدهة، وجبل خان. زعمت مصادر تابعة لعدن صد هجمات شنها الجيش والقوات الشعبية في صنعاء خلال الساعات الماضية، لكن الأدلة تشير إلى تقدم ملحوظ للقوات المسلحة اليمنية في هذه المحافظة.

ومع ذلك، يمكن تقييم الأهمية الرئيسية للتطورات في تعز في ضوء باب المندب.

المخا وباب المندب؛ رابط يُضفي بُعدًا إقليميًا على المعادلة:

يصعب فهم التطورات في تعز دون النظر إلى التطورات على الساحل الغربي. فقد سعت القوات المسلحة اليمنية في الأسابيع الأخيرة إلى ترسيخ سيطرتها على المناطق الساحلية، ويبدو أن الضغط على تعز جزءٌ من الاستراتيجية نفسها.

وفي هذا السياق، تكتسب السيطرة على المخا أهمية بالغة. تقع المخا على ساحل البحر الأحمر، ويمتد مسارها إلى باب المندب، وهو ممر مائي يربط البحر الأحمر بخليج عدن، ويُعدّ من أهم طرق الشحن في العالم. يبلغ عرض المضيق حوالي 20 كيلومترًا، وكانت حصته من التجارة العالمية تُقدّر بنحو 12% قبل تصاعد الصراع.

لذا، لا يقتصر هدف اليمنيين على الوصول إلى الساحل فحسب، بل يتعداه إلى أهمية بناء عمق جغرافي وعسكري لحماية المناطق الساحلية التي تم الاستيلاء عليها حديثًا. فإذا ما أصبحت تعز قاعدةً لقوات المعارضة، ستظل المناطق الساحلية الخاضعة لسيطرة صنعاء عرضةً للهجوم المضاد. ولهذا السبب، يُعد قطع طرق الإمداد بين تعز والمخا والجنوب جزءًا من الجهود المبذولة لترسيخ المكاسب الساحلية.

في الواقع، يمكن القول إن أنصار ا يتبنون منطق "ربط الجبهات"؛ أي أن الاستيلاء على منطقة ساحلية دون تأمين الطرق المؤدية إليها سيكون إنجازًا هشًا. ولهذا السبب، ينبغي تحليل الضغط على غرب وجنوب غرب تعز ومحاولة قطع طرق الإمداد في سياق العمليات الساحلية، لا كسلسلة من الاشتباكات المنفصلة.

مرتفعات تعز: الجانب الخفي لمعركة الساحل:

يُعدّ موقع المرتفعات غرب تعز أحد أهم أبعاد هذه المعادلة. في ظلّ طبيعة اليمن الجبلية، يصعب السيطرة على الساحل دون السيطرة على المرتفعات المطلة عليه. لذا، اكتسبت المناطق الجبلية كالقادة ورسان وجرداد وكهبوب أهمية مضاعفة.

يُظهر هذا أن الحرب في اليمن ليست مجرد صراع على المدن، بل هي حرب على "التضاريس". فالطرق والمرتفعات والممرات والساحل تُشكّل معًا شبكةً يُمكن للسيطرة عليها أن تُعزّز قدرة أحد الطرفين على نقل القوات والإمدادات، وتُضعف قدرة الطرف الآخر على شنّ هجوم مضاد.

من هذا المنطلق، تشمل المنطقة التي يُمكن اعتبارها "عمق باب المندب" أجزاءً من الحديدة وتعز ولحج. فالطرق والمرتفعات في هذه المنطقة تُحدّد مسار تحرّك القوات، وتوطيد السيطرة عليها يُخفّف الضغط على المناطق الساحلية التي تمّ الاستيلاء عليها حديثًا.

لحج؛ الحلقة الجنوبية في المعادلة:

جنوب تعز، تدخل محافظة لحج تدريجيًا في المعادلة نفسها. في الأيام الأخيرة، استمر النزاع على مرتفعات سلسلة جبال النعمان، وأفاد كلا الجانبين بتحقيق تقدم في هذه المنطقة، التي تكتسب أهمية بالغة نظرًا لموقعها الاستراتيجي المهيمن على الوزيية والمزرابة، وقربها من طرق المواصلات بين تعز والجنوب.

وتستمد لحج أهميتها من قربها من عدن والمناطق الجنوبية. لذا، فإن امتداد النزاع جنوبًا قد تكون له تداعيات تتجاوز مجرد تغيير محدود في خطوط التماس. في مثل هذه الظروف، قد يُعزز التحكم في مرتفعات لحج إمكانية مراقبة طرق المواصلات والسيطرة عليها.

لذا، ينبغي اعتبار تعز ولحج جبهتين مترابطتين. سيسعى كلا الجانبين إلى تأمين طرق النقل والمواصلات، ومنع إنشاء طرق جديدة تُمكّن الطرف الآخر من المناورة.

التشتت على جبهة التحالف السعودي:

من جهة أخرى، تتمثل إحدى المشكلات الهيكلية لقوات عدن في النزاعات الداخلية، وغياب قيادة موحدة، وتعدد الأجندات السياسية والإقليمية. أدت هذه الخلافات إلى إضعاف قدرة التحالف السعودي بشدة على

تشكيل قوة فعّالة لمواجهة تقدم القوات المسلحة اليمنية، وفي الوقت نفسه، بُذلت جهود مؤخرًا بين السعودية والإمارات لتوحيد القوات، لا سيما في محافظة حضرموت، لفتح جبهة من الشرق وتخفيف ضغط القوات المسلحة اليمنية على منطقة الساحل.

وبشكل عام، يُظهر تتبع خريطة الصراع أن تشتت الصراعات لا يعني تشتت استراتيجية القوات المسلحة اليمنية الحربية، وتسعى صنعاء إلى السيطرة على شبكة متصلة من موارد الطاقة والطرق والمرتفعات والموانئ والمعابر الاستراتيجية. وإذا ما تحقق هذا الترابط الجغرافي، فقد يتجاوز ميزان الحرب مستوى الصراع الداخلي ويؤثر على معادلات البحر الأحمر وخليج عدن وطرق التجارة الدولية.